تعدّد دلالات الألفاظ والتراكيب في تفسير مجمع البيان

م.د. غزوان حميد عبد
كلية الشيخ الطوسي الجامعة

تعدّد دلالات الألفاظ والتراكيب في تفسير مجمع البيان

م.د. غزوان حميد عبد
كلية الشيخ الطوسي الجامعة

الملخص:

بعد الصلاة والسلام على خير الأنام ، محمد وآله الكرام ، أما بعد ..

فإن تفسير مجمع البيان لمؤلفه الفقيه والمفسّر الفضل بن الحسن الطبرسي (ت:٥٤٨هـ) ، من أهم التفاسير الشيعية القيّمة ، الذي وقع موقع القبول عن الشيعة ، وأهل السنة والجماعة. واعتبره الفريقان من أقدم المصادر التفسيرية ، كما إن الدارسين والباحثين يرون لهذا التفسير أهمية من حيث الدقة والترتيب والإتقان والوضوح، ومن مميزات هذا التفسير ، أن المؤلّف تطرّق فيه لتفسير القرآن الكريم ، معتمداً في ذلك على اللغة ثم الإعراب ، ثم الحجّة ، ثم القراءات ، ثم المعنى، ولم يقتصر المؤلف على آراء مذهب دون آخر ، بل ذكر آراء جميع المذاهب الإسلامية، فجاء هذا التفسير ، مميزاً عن سائر التفاسير ، ومعترفاً به من قبل الأمة الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: التعدّد ، الألفاظ ، التراكيب ، التفسير ، مجمع البيان.

المبحث الأول: تعدّد دلالة الصيغ والألفاظ

أوّلاً: تعدَد الصيغ المشتركة

أ- تعدّد دلالة صيغة (فعيل)

تعدّد دلالتها لتشمل الصفة المشبهة واسم المفعول نحو (حكيم) فقد تكون اسم مفعول بمعنى (محكم) وقد تكون صفة مشبهة من الحكمة بمعنى صاحب الحكمة. نحو قوله تعالى: **(قالُوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلّا ما عَلَّمْتَنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)**[١] قال الطبرسي: يحتمل أمرين:

أحدهما: آنه بمعنى العالم لأن العالم بالشيء يسمى بأنه حكيم فعلى هذا يكون من صفات الذات. والثاني: أن معناه المحكم لأفعاله، ويكون فعيلاً بمعنى مفعل من أحكم الشيء: اتقنه ومنعه من الخروج عمّا يريده؛ وعلى هذا يكون من صفات الأفعال، ومعناه أن أفعاله كلها حكمة وصواب. وليس فيها تفاوت.[٢]

وهكذا يمكن ملاحظة ان الدلالة تباينت وتعدّدت من خلال استعمال (فعيل) بين صيغتي (فاعِل، ومُفعِل) مما أفلا تحقّق أمرين معاً، أولهما: المبالغة في وصف الله تعالى بالحكمة؛ لأنّ (الحكيم معناه الحاكم وبينهما مزيد المبالغة)، والثاني: الإحكام والإتقان في أفعاله جلّ شأنه، فالوصفان متقدمان – من دون أدنى ريبد من صفات الله تعالى ذاتاً وفعلاً.[٣]

ب- تعدد دلالة المصدر، مثل: المستقر بمعنى الاستقرار، في قوله تعالى: **(إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ)**[٤] فلفظة **(الْمُسْتَقَرُّ)** في هذه الآية تدلّ على المصدر بمعنى المنتهى، أي ينتهي الخلق يومئذ إلى حكمه وأمره، فلا حكم ولا أمر لأحد غيره، وتدل على اسم المكان بمعنى المستقر الذى يستقر فيه المؤمن والكافر، وذلك إلى الله لا إلى العباد، وتدل بمعنى المصير والمرجع.[٥]

ت- تعدد دلالة اسم الفاعل، نحو قوله تعالى: **(أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ)**[٦] في من قرأ لمستم، انه فاعل قد جاء في معنى فعل، نحو: عاقبت اللص.[٧]

ثانياً: الألفاظ المشتركة

في قوله تعالى: **(مَثَلاً ما بَعُوضَةً فَما فَوْقَها)**[٨] بمعنى: فما أعظم منها [في الحجم كالذباب والعنكبوت]. أو فما فوقها في الصغر والقلّة، لأن الغرض – هاهنا – الصغر [والحقاره].[٩]

وقوله تعالى: **(وَ اجْعَلْ لي وَزيرًا)**[١٠] تحتمل معاني عدة: فقد تكون من الوزر، أي: الظهر، يقال: أزرني فلان على أمري، أي كان لي ظهراً، أي: يؤازرني على المضى إلى فرعون ويعاضدني عليه، أو من المئزر، لأنّه يشدّ على الظهر، والتأزير: التقوية، أي: اجعل لي معاوناً اتقوى به.[١١]

وقوله: **(إِنّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ)**[١٢] ان لفظة **(الْكَوْثَرَ)** لها عدّة دلالات: منها: فالكوثر (فَوْعَل) من الكثرة، وهو الشيء الذى من شأنه الكثرة [وهو وصف يفيد المبالغة بمعنى المفرط الكثرة]. ومنها: الخير الكثير، وكثرة النسل والذرية، ونهر في الجنة، وحوض النبيﷺ الذي يكثر الناس عليه يوم القيامة.

ثالثاً: الالفاظ المتضادة

قال تعالى: (وَ أَسَرُّوا النَّدامَةَ لَمّا رَأَوُا الْعَذابَ)[١٣].

قال الطبرسي: (اسروا الندامة، أي: أخفوها، أي: أسر الندامة رؤساء الضلالة من الاتباع والسفلة، وقيل: أظهروها.[١٤]

الإسرار والإظهار ضدّان[١٥] فإذا كان بمعنى الإخفاء فظاهر، وأمّا بمعنى الإظهار من قولهم: سرّ الشيء وأسرّه إذا أظهره فقيل: المراد إخفاء تلك الندامة لأنّهم لمّا رأوا العذاب الشديد صاروا مبهوتين متحيّرين فلم يطيقوا عنده بكاءً ولا صراخاً سوي إسرار الندم كحالة من يذهب به إلى الصَلْب؛ فإنّه يبقى مدهوشاً متحيّراً لا ينطق بكلمة، أو لأنّهم أسروا الندامة من سفلتهم وأتباعهم حياءاً منهم وخوفاً من توبيخهم[١٦].

وقال تعالى: (نَحْنُ جَعَلْناها تَذْكِرَةً وَ مَتاعًا لِلْمُقْوينَ)[١٧].

المُقْوي: اسم فاعل من أَقْوى الرجل يُقْوِى إذا نزل القُواء؛ أي القَفْر، ويكنى بذلك عن الفقر، كما يقال: أَرْمَلَ وأَتْرَبَ، وجمعه: مُقْوُون. وقوله تعالى: **(وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ)** أي

المعوزين المحتاجين؛ لأنّهم يحتاجون إلى النار للتدفئة، أو الطبخ[١٨]. وعن عكرمة ومجاهد: المقوين المستمتعين بها من الناس أجمعين المسافرين والحاضرين.[١٩]

قال الطبرسي: (يكون المقوي من الأضداد، فيكون المقوي الذي صار ذا قوة من المال والنعمة، والمقوي أيضاً الذاهب ماله النازل بالقواء من الأرض، فالمعنى ومتاعاً للأغنياء والفقراء).[٢٠] ولعل الأقرب عليه أنّه أريد بالإقواء الاحتياج والمستمتع بها محتاج إليها.[٢١]

رابعاً: السياق وأثره في تعدد الدلالة

وذلك في ما يطرأ على اللفظ من انتقاله من دلالته بأصل الوضع إلى دلالة أخرى، وذلك ما يبدء واضحاً من أهمية السياق في تحديد صيغة الأمر – مثلاً – ودلالتها على الوجوب. أو الندب، أو الإباحة؛ فالسياق يلعب دوراً مهماً في بيان وتحديد الغرض الذي يدل عليه، وقد يخرج الأمر إلى أغراض بلاغية نلتمسها من خلال أثر السياق في هذه الصيغة.

وكذلك هناك دوراً واضحاً في تحديد دلالة النهي وتنوع المعاني التي تدل عليها، فإن النهي المطلق حقيقة في التحريم، وقد تخرج هذه الصيغة على الأصل إلى معانٍ أخر، كالنهي للتأديب والنهي للتحذير، والنهي للتنبيه، والارشاد، والدعاء، وغيرها.

المبحث الثاني: تعدّد دلالة معاني الأدوات

أولاً: تعدد الدلالات في ادوات الاستفهام

أ- همرة الاستفهام:

قوله تعالى: (أَ فَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَ قَدْ كانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ)[٢٢].

فالهمزة في قوله: (**أَ فَتَطْمَعُونَ**): استفهام، والمراد به الإنكار،[٢٣] وقد فهمت دلالة الاستفهام من لفظ الآية الكريمة، ولكونه الأصل في معاني الهمزة، على حين فهمت دلالة الإنكار من سياق الآية. [٢٤]

ب- تعدّد دلالة (ما) الاستفهامية

قوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا ما لَكُمْ إِذا قيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فى سَبيلِ اللهِ اثّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَ رَضيتُمْ بِالْحَياةِ الدُّنْيا مِنَ الْآخِرَةِ فَما مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا فِى الْآخِرَةِ إِلّا قَليلٌ)[٢٥].

في قوله تعالى: (أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ). خرج الاستفهام على رأي الطبرسي عن معناه الأم وهو الاستفهام الحقيقي إلى معنى الإنكار، ومعناه: أثرتم الحياة الدنيا الفانية على الحياة الآخرة في النعيم الدائم.[٢٦]

وقال ابن عاشور: واختير فعل (رضيتم) دون نحو آثرتم أو فضّلتم: مبالغة في الإنكار؛ لأنّ فعل (رضي) بكذا يدلّ على انشراح النفس.[٢٧]

ج- تعدد دلالة (أنّى) الاستفهامية

قوله تعالى: **(أَنّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ)**[٢٨].

أي: كيف يكون له ولد، ومن أين يكون له ولد.[٢٩]

أي يكون السؤال عن الكيفية، والمعنى: كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة، أو جعل السؤال عن المكان، ومعناها: من أين يكون له ولد ولم تكن له صاحبة.[٣٠]

ثانياً: تعدد الدلالة في حروف الجر

قال تعالى: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذينَ قالُوا إِنَّ اللهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ وَ ما مِنْ إِلهٍ إِلّا إِلهٌ واحِدٌ وَ إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أَليمٌ)[٣١].

فـ (من) عند الطبرسي في قوله تعالى: (لَيَمَسَّنَّ الَّذينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ) للبيان، ويجوز ان تكون للتبعيض على معنى: ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم.

يقول الطبرسي: «وانما خصّ سبحانه الذين يستمرون على كفرهم، لأنّ علم أن بعضهم يؤمن ... وقيل أنه أعم».[٣٢]

أي أن (من) في قوله تعالى: **(لَيَمَسَّنَّ الَّذينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ)** للتبعيض، وللبيان.

وقال تعالى: **(قُلْ لِلْمُؤْمِنينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ)**[٣٣] فـ (من) عند الطبرسي: (من)

١- للبيان، أي عما لا يحل لهم النظر.

٢- مزيدة: وتقديره: يغضوا أبصارهم عن عورات النساء.[٣٤]

٣- التبعيض:[٣٥] لأن غضى البصر إنما يجب في بعض المواضع، والمعنى: ينقصوا من نظرهم فلا ينظروا إلى ما حرم.

٤- لآبتداء الغاية.[٣٦]

وقد ذكر بعضهم[٣٧]، أنّ مفاد التبعيض يتصل بموضوع النظر، لا بطبيعته، أي: غضّ النظر عمّا يحرم والاقتصار على ما يحلّ، ولكنّه خلاف الظاهر؛ لأنّ المتبادر من كلمة البصر العين، وبذلك التبعيض متصلاً بها، لا بمن تتوجّه إليه أو تنظر إليه.

وجوّز الأخفش – في ما نقله صاحب الكشاف – أن تكون مزيدة، وأباه سيبويه[٣٨] ولعلّ هو الصحيح؛ لأنّ الزيادة لا دليل عليها[٣٩].

وذكر العلّامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان: أن كلمة (من) لابتداء الغاية لا مزيدة، ولا للجنس، ولا للتبعيض، كما قال بكلّ قائل، والمعنى: يأتوا بالغضّ آخذاً من أبصارهم.[٤٠]

وهذا خلاف الظاهر؛ لأنّ الآية مسوقة للحديث عن طبيعة النظر لا عن الابتداء والغاية[٤١] وعلى ضوء ذلك فإنّ الآية ظاهرة في نرك تعمّد النظر إلى ما يواجهه الإنسان من الأشياء المحرّمة عليه، مما يجعله لا يواجه الأشياء البارزة أمامه منها، ومما يلتقي بها بطريق الصدفة، بالتحديق المملوء بل بكسر النظر عنها، والانصراف عن التعمّق في تفاصيلها.[٤٢]

ثالثاً: تعدد الدلالة في أداة الاستثناء:

قال تعالى: (ذلِكَ الَّذى يُبَشِّرُ اللهُ عِبادَهُ الَّذينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلّاَ الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبى)[٤٣].

ففي قوله: (إِلّاَ الْمَوَدَّةَ) قولان:

أحدهما: ان الاستثناء منقطع؛ لأن هذا مما يجب بالاسلام فلا يكون أجره النبوة.[٤٤]

والأخر: ان الاستثناء متصل، والمعنى: لا أسألكم عليه أجراً إلّا هذا ونفعه أيضاً عائد عليكم فكأني لم اسألكم أجراً.[٤٥]

فالمراد من القول الاول: لا اسألكم على الرسالة أجر قط، ولكني اسالكم أو اذكركم المودة في القربى.

والقول الثاني: تكون المودة في القربى كأنها الأجر على تبليغ الرسالة، كقول استاذ لطلابه: لا اريد أجراً منكم إلّا نجاحكم، فالنجاح في الأصل ليس أجراً، ولكن الاستاذ عدّة كذلك، وتأسيساً على هنا يكون الاستثناء متصل.

رابعاً: تعدد الدلالة في أدواة العطف

أ- تعدّد دلالة (أو)

قال تعالى: (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَهِيَ كَالْحِجارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً)[٤٦].

ذكر الطبرسي في تأويل (أو) – هاهنا – دلالات عدّة[٤٧]:

أحدها: معناها الإباحة، فيكون معنى الآية على هذا: إن قلوبهم قاسية فإن شبّهت قسوتها بالحجر أصبت، وإن شبهتها بما هو أشد أصبت، وإن شبهها بهما جميعاً أصبت.

وثانيها: أن تكون (أو) دخلت للتفصيل والتمييز، فيكون معنى الآية: إنّ قلوبهم قاسية، فبعضها كالحجارة، وبعضها أشدّ قسوة من الحجارة[٤٨].

وثالثها أن تكون (أو) دخلت على سبيل الإبهام فيما يرجع إلى المخاطب – وإن كان الله عالماً بذلك غير شأن فيه – فأخبر أن قسوة قلوب هؤلاء كالحجارة أو أشدّ قسوة، والمعنى: أنها كأحد هاذين لا يخرج عنهما.

ورابعها: أن تكون (أو) بمعنى (بل) ومعناها: بل يزيدون.[٤٩]

خامساً: تعدد دلالة (ما) و (من)

أ- (ما):

قال تعالى: (وَ أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أُحْيِ الْمَوْتى بِإِذْنِ اللهِ وَ أُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فى ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ)[٥٠].

يرى الطبرسي: إن (ما) في كلا الموضوعن من قوله تعالى: (وَ أُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ)؛ إمّا أن تكون موصولة بمعنى (الذي) أي: بما تأكلونه وتدخرونه. وإمّا أن تكون مصدرية، أي: أنبئكم بأكلكم وادخاركم.[٥١]

ب- (من):

قال تعالى: (وَ إِنْ كُنْتُمْ فى رَيْبٍ مِمّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ)[٥٢].

يحتمل قوله تعالى: **(فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ)** ثلاث دلالات في ضوء ما جاء في مجمع البيان:

أحدها: بمعنى التبعيض، وتقديره: فأتوا ببعض ما هو مثل له وهو سورة.

وثانيها: بمعنى التبيين، أي للتبيين الصفة، كقوله تعالى: **(فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ)** وهي التبيين: تخصص الجملة التي قبلها، كما أنها في التبعيض تخصص الجملة التي بعدها.

وثالثها: ان تقع مزيدة [أي زائدة]. أي: فاتوا بسورة مثل القرآن الكريم.

سادساً: تعدد دلالة (الباء)

قال تعالى: (وَ هُوَ الَّذى يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ حَتّى إِذا أَقَلَّتْ سَحابًا ثِقالاً سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ فَأَخْرَجْنا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ كَذلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)[٥٣].

تشمل هذه الآية المباركة على دلالتين متباينتين يمكن استنباطها من خلال (الباء) وضمير الغيبة المتصل به سواء في قوله تعالى: (فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ) أم في قوله تعالى: (فَأَخْرَجْنا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ) والدلالتان فيما اورده الطبرسي هما:

يجوز أن يكون في الضمير (به) في [فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ] راجعاً إلى البلد، أي فأنزلنا بالبلد الماء.

ويجوز ان يكون راجعاً إلى السحاب، أي: فأنزلنا بالسحاب الماء، وكذلك يجوز ان يكون في (به) [فَأَخْرَجْنا بِهِ] بمعنى: بهذا الماء المنزل، أو بهذا البلد.[٥٤]

المبحث الثالث: تعدّد دلالة التراكيب النحوية

أولاً: تعدّد الدلالة لاختلاف الاعراب

قال تعالى: (أَ فَلَمْ يَسيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَ أَشَدَّ قُوَّةً وَ آثارًا فِي الْأَرْضِ فَما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ)[٥٥].

قال الطبرسي: (أي لم يغن عنهم ما كسبوه من البنيان والأموال شيئاً من عذاب الله تعالى، وقيل إن ما في قوله: (فَما أَغْنى) بمعنى أي فالمعنى فأي شيء أغنى عنهم كسبهم فيكون موضع (ما) الأولى نصباً، وموضع (ما) الثانية رفعاً).[٥٦]

ومن ذلك قوله تعالى: (أَ لا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ اللَّطيفُ الْخَبيرُ)[٥٧].

قال الطبرسي: (قيل في معناه وجوه: (احدها): ألا يعلم ما في الصدور من خلق الصدور (وثانيها): ألا يعلم سر العبد من حلقه، أي من خلق العبد. فعلى الوجهين يكون (مَنْ خَلَقَ) بمعنى الخالق. و(ثالثها): أن يكون من خلق بمعنى المخلوق، والمعنى: ألا يعلم الله مخلوقه[٥٨] أي ألا يعلم مخلوقه؟ أي ان معنى الآية يتوقف على اعراب (من) فهو اما فاعلاً أي مفعولاً.

قال تعالى: (أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وَ أَبْصارَكُمْ وَ خَتَمَ عَلى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلـهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتيكُمْ بِهِ)[٥٩].

الهاء تعود إلى معنى الفعل، المعنى: يأتيكم بما أحد الله منكم أو أن يكون عائداً إلى السمع ويكون ما عطف على السمع داخلاً في القصة معه إذا كان معطوفاً عليه.

أي: يريد لا يقدر هؤلاء الذين يعبدون أن يجعلوا لكم اسماعاً وأبصاراً وقلوباً تعقلون بها وتفهمون، أي: أخذها الله منكم فمن يردها عليكم. بيّن سبحانه بهذا أنه كما لا يقدر على ذلك غير الله فكذلك يجب أن لا تعبدوا سواه.[٦٠]

ثانياً: تعدد الدلالة لاحتمال مرجع الضمير

كقوله تعالى: **(فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ)**[٦١] الضمير في **(مِثْلِهِ)** قد يعود على القرآن أو على الرسول، فإذا عاد على القرآن كان المعنى: فائتوا بسورة مما هو على صفته من البيان الغريب، وعلو الطبقة في حسن النظم، وإذا عاد الضمير على الرسولﷺ، أي: فأتوا بسورة مثل ما أتي به محمد في الاعجاز من حسن النظم، وجزالة اللفظ،

والفصاحة التي اختصت به، والإخبار عمّا كان وعمّا يكون دون تعلّم الكتب ودراسة الأخبار.[٦٢]

وقوله تعالى: (حَتّى إِذا جاءَتْهُمُ السّاعَةُ بَغْتَةً قالُوا يا حَسْرَتَنا عَلى ما فَرَّطْنا فيها)[٦٣].

فالضمير في (فيها) يحتمل أن يعود على الحياة الدنيا وإن لم يجر لها ذكر لكونها معلومة، وقد يعود على الساعة على معنى: قصّرنا في شأنها وفي الايمان بها.

قال تعالى: (انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطيعُونَ سَبيلاً)[٦٤].

كيف: [اسم استفهام] في محل النصب على المصدر، والتقدير: ضربوا لك الأمثال، ويجوز أن يكون في موضع نصب على الحال من الواو في (ضَرَبُوا) والتقدير: انظر أمنكرين ضربوا لك الأمثال أم لا.[٦٥]

ثالثاً: تعدد الدلالة في مباحث التضمين

التضمين هو اشراب لفظ معنى لفظ آخر فيعطونه حكمه. قال تعالى: (**لِلَّذينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ**)[٦٦].

فمعنى (**يُؤْلُونَ**): يقسمون أو يحلفون، والأصل أن تقول: حلف فلان على كذا، لكنه عدل عن لفظه (على) الى لفظة (من)؛ لأنّه ضمن معنى (البعد) فكأنه قيل: يبعدون من نسائهم مؤلين أو مقسمين، فجمع بين مَعْنيي: الحلف والبعد.[٦٧]

وقوله تعالى: (**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيامِ الرَّفَثُ إِلى نِسائِكُمْ**)[٦٨].

عدّى (**الرَّفَثُ**) بـ (**إِلى**)، والأصل فيه أن يتعدى بـ (الباء) وذلك لتضمنه معنى الافضاء.[٦٩]

المبحث الرابع: تعدد دلالة التراكيب البلاغية

أولاً: احتمال الخبر والإنشاء

قال تعالى: (وَ الْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ)[٧٠].

قال الطبرسي: (لفظه خبر ومعناه أمر، معناه ينتظرن بأنفسهن انقضاء ثلاثة قروء فلا يتزوجن).[٧١]

وعكسه قوله تعالى: (فَقُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً)[٧٢] قال الطبرسي: (وهذا إخبار عن سرعة فعله ومسخه إيّاهم لا أن هناك أمراً ومعناه: وجعلناهم قردة، كقوله تعالى: (فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ)[٧٣] ولم يكن هناك قول وإنما أخبر عن تسهل الفعل عليه وتكوينه بلا مشقة.[٧٤]

ثانياً: القصر

هو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص وهو من أقوى طرائق التوكيد (يهدف بها المتكلم الى تثبيت غرضه في ذهن السامع وإزالة ما في نفسه من شك) ومن طرائقه:

١- النفي والاستثناء: ففيه ما يؤدي إلى تعدد الدلالة كقوله تعالى **(وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ)**[٧٥].

يعني أنّه بشر اختاره الله لرسالته إلى خلقه وقد مضت قبله رسل بعثوا فأدوا الرسالة ومضوا وماتوا وقتل بعضهم وأنه يموت كما ماتت الرسل قبله فليس الموت بمستحيل عليه ولا القتل.

أو أراد أن اصحاب الأنبياء لم يرتدوا عند موتهم أو تسلّهم فاقتدوا بهم.[٧٦]

وفي كلا الدلالتين إشعار أن الله سبحانه لم يقبل ولم يرتض ما اعتذر به المنهزمون، وإنّ ذلك كان منهم ارتداداً وانقلاباً على أعقابهم.[٧٧]

٢- القصر بـ (انما): يقول الطبرسي في قوله تعالى: (إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ).[٧٨]

أن معناه لم يحرم ربي إلّا الفواحش لما قد بينا قبل أن لفظة إنما محقّقة لما ذكرنا فيه لما يذكر فذكر القبائح على الإجمال ثم فصل للبيان فقال **(وَ الْإِثْمَ وَ الْبَغْيَ)** فكأنه قال: حرّم ربي الفواحش التي منها الإثم ومنها البغي ومنها الإشراك بالله.

فالقصر المفاد من (انما) قصر إضاعي مناده أن الله حرّم الفواحش وما ذكر معها لا ما حرّمتوه من الزينة والطيبات، فأفاد ابطال اعتقادهم.[٧٩]

أو أراد إن الفواحش هي الزنا وهو الذي بطن منها والتعدي في الطواف وهو الذي ظهر فيها.[٨٠]

ومجيء إنما للنصر أي أن التحريم مقصود على هذه المحرمات كلّها.

٢- القصر بتقديم ما حقه التأخير، مثل تقديم الخبر (شبه الجملة) على المبتدأ في نحو قوله تعالى: **(لَكُمْ دينُكُمْ وَ لِيَ دينِ)**[٨١].

الآية الأولى: (احدها) أنّ معناها لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني و(ثانيها): لكم كفركم بالله، ولي دين التوحيد والإخلاص.

قدم في كلتا الجملتين المسند على المسند إليه ليفيد قصر المسند إليه على المسند، والقصر قصر إفراد واللام في الموضعين لشبه الملك وهو الاختصاص أو الاستحقاق.[٨٢]

ثالثاً: الحذف

من الحذف ما يؤدي إلى تعدد الدلالة فيه إذا لم يتعيّن فيه المحذوف، بل يحتمل عدّة تقديرات يحتملها سياق الآية، نحو قوله تعالى: (وَ يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّساءِ قُلِ اللهُ يُفْتيكُمْ فيهِنَّ وَ ما يُتْلى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ فى يَتامَى النِّساءِ اللّاتى لا تُؤْتُونَهُنَّ ما كُتِبَ لَهُنَّ وَ تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ)[٨٣].

فقوله تعالى: (وَ تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ) يحتمل: في أن تنكحوهن لجمالهن، وعن أن تنكحوهن لدمامتهن) ولو ذكر الحرف المحذوف فقال: «في أن تنكحوهن» لكان المعنى الرغبة في نكاحهن والحزوف عنه، ولكن عندما حذف حرف الجر ولم يعيّن توسّع المعنى ليحتمل الرغبة في نكاحهن ويحتمل الرغبة عنه.[٨٤]

رابعاً: احتمال الحقيقة والمجاز

كقوله تعالى: (وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا)[٨٥]. قال الطبرسي: «بارزة؛ أي ظاهرة وليس عليها شيء من جبل أو بناء أو شجر يسترها عن عيون الناظرين. وقيل: انّ معناه وترى باطن الأرض قد برز من كان في بطنها فصاروا على ظهرها، وتقديره وترى ما في الأرض بارزة»[٨٦].

فالاسناد يحتمل الحقيقة والمجاز، فعلى التفسير الأول يكون الإسناد حقيقياً، لظهور الأرض بزوال الجبال بعد استتار. وعلى التفسير الثاني تكون (بارزة) صفة لأهلها على سبيل المجاز العقلي؛ إذ اسند بارزة الى ضمير، والمراد أهلها؛ لأن الأرض مكان البروز، والعلاقة المكانية.

ومنه قوله تعالى: (حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ)[٨٧].

فقيل إنّ التعبير حقيقي والمقصود بالتنور هو تنور الخبز الحقيقيّ، وقيل هو تعبير مجازيّ وهو كناية عن الشدّة وحضور العذاب، كقولهم (حمي الوطيس) إذا اشتدّت الحرب[٨٨].

وأورد الطبرسي أقوال منها: أنّه تنور الخابزة، وأنّه لما اشتد غضب الله ووقعت النقمة بهم كما تقول العرب (حمي الوطيس) إذا اشتدت الحرب. وحمل الكلام على الحقيقة التي تشهد بها الرواية.[٨٩]

هوامش البحث:

(١). البقرة: ٣٢.

(٢). الطبرسي، مجمع البيان، ج١، ص١٨٣.

(٣). البعّاح، محمد، تعدّد دلالات الألفاظ والتراكيب في تفسير الطوسي، ص٤٦.

(٤). القيامة: ١٢.

(٥). الطبرسي، مجمع البيان، ج١٠، ص٥٩٨.

(٦). النساء: ٤٣.

(٧). الطبرسي، مجمع البيان، ج٣، ص٧٩.

(٨). البقرة: ٢٦.

(٩). الطبرسي، مجمع البيان، ج١، ص١٦٧.

(١٠). طه: ٢٩

(١١). الطبرسي، مجمع البيان، ج٧، ص١٣ و ١٦.

(١٢). الكوثر: ١.

(١٣). يونس: ٥٤.

(١٤). الطبرسي، مجمع البيان، ج٥، ص١٧٥.

(١٥). ينظر: الجوهري، الصحاح، ج٦، ص٢٣٢٩.

(١٦). ينظر: الآلوسي، محمود بن عبدالله (ت١٢٧٠هـ)، روح المعاني، ج٦، ص١٣٠؛ الحائري الطهراني، علي (ت١٣٤٠هـ)، مقتنيات الدرر، (طهران: ١٣٧٨هـ)، ج٥، ص٢٥٩.

(١٧). الواقعة: ٧٣.

(١٨). مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم، ج٢، ص٤٣٥.

(١٩). الآلوسي، روح المعاني، ج١٤، ص١٤٩.

(٢٠). الطبرسي، مجمع البيان، ج٩، ص٣٣٩.

(٢١). الآلوسي، روح المعاني، ج١٤، ص١٤٩.

(٢٢). البقرة: ٧٥

(٢٣). الطبرسي، مجمع البيان، ج١، ص٢٨٥.

(٢٤). البعاح، المصدر السابق، ص٧٦.

(٢٥). التوبة: ٣٨.

(٢٦). الطبرسي، مجمع البيان، ج٥، ص٤٧.

(٢٧). ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٠، ص٩٦.

(٢٨). الانعام: ١٠١.

(٢٩). الطبرسي، مجمع البيان، ج٢، ص٧٤٠.

(٣٠). البعاح، المصدر السابق، ص٨٨ و ٨٩.

(٣١). المائدة: ٧٣.

(٣٢). الطبرسي، مجمع البيان، ج٧، ص٢١٦.

(٣٣). النور: ٣١.

(٣٤). واذكر ذلك سيبويه (فتح القدير، ج٤، ص٢٧).
والاكثرون على خلافه لأن (من) لا تزاد في حال الايجاب، وانما تزاد حال النفي (التفسير المنير، ج١٨، ص٢٨).

(٣٥). وإليه ذهب الاكثرون (فتح القدير، ج٤، ص٢٧).

(٣٦). الطبرسي، مجمع البيان، ج٧، ص٢١٦.

(٣٧). فضل الله، محمد حسين، من وحي القرآن، دار الملك، (بيروت: ١٤١٩هـ)، ج١٦، ص٢٩٥).

(٣٨). الزمخشري، الكشاف، ج٣، ص٢٢٩.

(٣٩). فضل الله، من وحي القرآن، ج١٦، ص٢٩٥.

(٤٠). الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١٥، ص١١١.

(٤١). فضل الله، من وحي القرآن، ج١٦، ص٢٩٥.

(٤٢). فضل الله، من وحي القرآن، ج١٦، ص٢٩٥.

(٤٣). الشورى: ٢٣

(٤٤). الطبرسي، مجمع البيان، ج٩، ص٤٣.

(٤٥). الطبرسي، مجمع البيان، ج٩، ص٤٣.

(٤٦). البقرة: ٧٤.

(٤٧). ينظر: الطبرسي، مجمع البيان، ج١، ص٢٨٠.

(٤٨). ينظر: الطبري، جامع البيان، ج١، ص٢٨٧.

(٤٩). الفخر الرازي، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، ج٣، ص٥٥٥.

(٥٠). آل عمران: ٤٩.

(٥١). الطبرسي، مجمع البيان، ج٢، ص٧٥٢.

(٥٢). البقرة: ٢٣.

(٥٣). الأعراف: ٥٧

(٥٤). ينظر: الطبرسي، مجمع البيان، ج٤، ص٦٦٦.

(٥٥). غافر: ٨٢

(٥٦). الطبرسي، مجمع البيان، ج٨، ص٨٣٢.

(٥٧). الملك: ١٤

(٥٨). الطبرسي، مجمع البيان، ج١٠، ص٤٩١.

(٥٩). الأنعام: ٤٦

(٦٠). الطبرسي، مجمع البيان، ج٤، ص٤٦٨

(٦١). البقرة: ٢٣.

(٦٢). ينظر: الطبرسي، مجمع البيان، ج١، ص١٥٨.

(٦٣). الأنعام: ٣١.

(٦٤). الفرقان: ٩.

(٦٥). الطبرسي، مجمع البيان، ج٧، ص٢٥٢.

(٦٦). البقرة: ٢٢٦.

(٦٧). ينظر: الطبرسي، مجمع البيان، ج١، ص٢٦٩.

(٦٨). البقرة: ١٨٧.

(٦٩). الطبرسي، مجمع البيان، ج١، ص٢٣٠.

(٧٠). البقرة: ٢٢٨.

(٧١). الطبرسي، مجمع البيان، ج٢، ص٥٧٣.

(٧٢). البقرة: ٦٥.

(٧٣). فصلت: ١١

(٧٤). الطبرسي، مجمع البيان، ج١، ص٢٦٥.

(٧٥). آل عمران: ١٤٤.

(٧٦). الطبرسي، مجمع البيان، ج٢، ص٨٥٠.

(٧٧). ينظر: الطباطبائي، محمد حسين (ت١٤٠٢هـ)، تفسير البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، دار التعاريف (بيروت: د.ن)، ج١٢، ص٢٩٧.

(٧٨). الأعراف: ٣٣.

(٧٩). ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٨، ص٧٧.

(٨٠). الطبرسي، مجمع البيان، ج٤، ص٦٤٠.

(٨١). الكافرون: ٦.

(٨٢). ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣٠، ص٥١٣.

(٨٣). النساء: ١٢٧.

(٨٤). الطبرسي، مجمع البيان، ج٣، ص١٨١.

(٨٥). الكهف: ٤٧

(٨٦). الطبرسي، مجمع البيان، ج٦، ص٧٣٢.

(٨٧). هود: ٤٠

(٨٨). الشوكاني، فتح القدير، ج٢، ص٤٩٨.

(٨٩). الطبرسي، مجمع البيان، ج٥، ص٢٤٨.

المصادر والمراجع

١. ابن عاشور، محمد طاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع، (تونس: ١٩٨٤م).

٢. الآلوسي، محمود بن عبدالله (ت١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٩٤م).

٣. البعّاح، محمد، تعدّد دلالات الألفاظ والتراكيب في تفسير الطوسي، رسالة دكتوراه، جامعة الكوفة.

٤. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في عقيدة والشريعة، دار الفكر المعاصر، (دمشق: ١٤١٨هـ).

٥. الجوهري، أبو نصر اسماعيل بن حماد الفارابي (ت٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، (بيروت: ١٩٨٧م).
٦. الحائري الطهراني، علي (ت١٣٤٠هـ)، مقتنيات الدرر، (طهران: ١٣٧٨هـ).
٧. الزمخشري، محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، (١٤١٧هـ).
٨. الشوكاني، محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ)، فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير، دار ابن كثير، (بيروت: ١٤١٤هـ).
٩. الطباطبائي، محمد حسين (ت١٤٠٢هـ)، تفسير البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، دار التعارف (بيروت: د.ن).
١٠. الطباطبائي، محمد حسين (ت١٤٠٢هـ)، الميزان في تفسير القرآن، (بيروت: د.ت).
١١. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار نشر ناصر خسرو، (طهران: د.ت).
١٢. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار المعرفة (بيروت: ١٤١٢هـ).
١٣. الفخر الرازي، فخر الدين بن ضياء الدين محمد بن عمر (ت٦٠٦هـ)، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، (بيروت: د.ت).
١٤. فضل الله، محمد حسين، من وحي القرآن، دار الملك، (بيروت: ١٤١٩هـ).
١٥. مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم، (القاهرة: د.ت).